

الموضوع: ملكوت الله (٣)

برنامج أنوار كاشفة

(الكنيسة المسيحية والشعب القديم)

أصدقائنا المستمعين، بدأنا قبل لقائين بالحديث عن معاني ملكوت الله. وتبين لنا أن المقصود بملكوت الله هو سلطان الله على البشر. وأن ملكوت الله قد حلّ بمجيء الملك والمخلص يسوع المسيح، وبدأ رسمياً بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات. وفي اللقاء السابق تحدثنا عن العلاقة بين اليهود وملكوت الله. واتضح لنا من مثل الكرم والكرامين الذي قصّه المخلص يسوع المسيح، أن ملكوت الله قد نُزِع من الأمة اليهودية وأُعطِيَ لأمة أخرى. وأن هذه الأمة الأخرى هي كنيسة المسيح الحقيقية المجموعة من كل الشعوب والأمم والألسنة.

ولأهمية هذا الموضوع سنتابع اليوم الحديث عنه، ونشرح مفهوم الأمة الجديدة أو كنيسة المسيح الحقيقية التي أخذت مكان الشعب اليهودي القديم. ولعل السؤال الأول الذي يجب أن نجيب عنه هو: ماذا كان دور الدين اليهودي بالنسبة لملكوت الله الذي أُعلن بمجيء المسيح؟ وللإجابة نقول:

لقد كان لليهودية دور هام في حقبة طويلة من التاريخ البشري. فمن خلال العهد القديم من الكتاب المقدس أعلن الله ذاته وخطته لخلاص البشر. فاختار الله إبراهيم ليكون أباً لجمهور من الأمم، وأعلن له أنه بنسله ستبَارِك جميع قبائل وأمم الأرض. وأعطى الله موسى الناموس والشرائع الملحقة به، لهدف وضع حدود يسلك من ضمنها الإنسان، ويعرف منها الخطأ من الصواب. ولكي يكتشف الإنسان مدى عجزه وفشله في تطبيق وصايا الله، وليدرك أنه عبد للخاطئة، وبحاجة إلى الخلاص والمخلص.

وأرسل الله الأنبياء الواحد بعد الآخر ليحذّر الشعب وينبّههم ويعود بهم إلى طريق الصواب. وليعلن لهم في نفس الوقت عن خطته المجيدة بإرسال المخلص والملك المسيح، الذي سيحررهم ويملك عليهم ويبدأ معهم عهداً جديداً.

وفي الوقت المحدد من قبل الله ولد المخلص الملك يسوع المسيح، وتمّت في شخصه كل وعود ورموز ونبؤات العهد القديم. وأعلن المسيح خلاص الله للبشر جميعاً من خلال موته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات. وبدأ بالتالي عهداً جديداً بين الله والإنسان.

لقد كانت اليهودية إذن تمهّد لإعلان خلاص الله الكامل بواسطة المسيح المخلص وترمز له. وعندما أتى المسيح إنتهت الديانة اليهودية عمليا ورسميا بالنسبة لله. ولم تعد هناك أية علاقة خاصة تربط الله باليهود، فقد حلّ مكانهم شعب جديد مؤلف من كل الشعوب والأمم والألسنة. ولذلك لم تعد هناك أية حاجة إلى طقوس وعبادة وفرائض الديانة اليهودية، لا سيما تلك المتعلقة بالهيكل والذبائح الحيوانية ونظام الكهنوت اليهودي. لقد صار المسيح رئيس الكهنة الحقيقي الذي قدّم جسده ذبيحة حية للتكفير عن خطية الجنس البشري. ولهذا لم يكن غريبا أن ينشق حجاب الهيكل الذي يفصل قدس الأقداس عند موت المسيح على الصليب. ثمّ صعد المسيح بعد قيامته من الأموات إلى السماء، حيث جلس عن يمين عرش الله، لكي يشفع بكل المؤمنين الحقيقيين. وبصعوده إلى السماء دخل المسيح إلى قدس الأقداس الحقيقي. لهذا نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين عن انتهاء مفعول العهد القديم وحلول العهد الجديد مكانه.

أجل، لقد أتى المسيح الملك المخلص الموعود به منذ القديم، وظهرت الحقيقة جلية ناصعة، وانتهى بالتالي زمن الرموز والشعائر والطقوس اليهودية. لقد حلت المسيحية مكان اليهودية، وصار على اليهودي أن يؤمن بشخص المسيح المخلص لكي يصبح من شعب الله الجديد.

لعلّ السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن هو: من هو شعب الله الجديد وممن يتألف؟ لقد دعا المسيح بعد قيامته تلاميذه لكي يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها. أي يكرزوا ببشارة الخلاص المفرحة لكل الشعوب والأمم والألسنة. وفعلا إنطلق التلاميذ مبشرين بدءاً من أورشليم وإلى المناطق المحيطة ثم إلى كل أنحاء العالم القديم. وهكذا نشأت الكنيسة المسيحية التي تتألف من جماعة المؤمنين الحقيقيين، واصبح المؤمنون المسيحيون هم شعب الله الجديد. الشعب المجموع من كل الشعوب والأجناس والطبقات، والذي لا يقتصر على شعب معين أو فئة محددة.

وكان المسيح نفسه قد سبق له أن قال مرة لليهود: "ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد." (بشارة يوحنا ١٠: ١٦) أي أن المسيح أعلن بصراحة أنه سيأتي بأناس آخرين من خارج الحظيرة اليهودية، ويدخلهم إلى ملكوته. لا بل أكد المسيح في كلامه هذا أنه ستكون هناك رعية جديدة واحدة، ولها راع واحد. رعية مؤلفة من جنسيات وقوميات مختلفة، ولها راع واحد هو المخلص الملك يسوع المسيح. وبتعبير آخر لم يعد ملكوت الله حكرا على الشعب اليهودي بل أصبح يشمل شعوب الأرض قاطبة.

ولهذا كتب الرسول بطرس للمؤمنين بالمسيح في آسيا الصغرى قائلاً: "وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء، لكي تجربوا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله.

الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون." (رسالة بطرس الأولى ٢: ٩ و ١٠) من الواضح أن الرسول بطرس تحدث هنا عن شعب الله الجديد، المؤلف من المؤمنين الأمم واليهود، شعب الله الذي لم يكن قبلا من شعب الله. شعب الله الجديد الذي كان في الظلمة فأضاء الله حياته بنوره الساطع، وأصبح هو الجنس المختار والأمة المقدسة. وهدف هذا الشعب هو إعلان خلاص الله للبشر جميعاً.

أما الرسول بولس فأكد لنا في الأصحاح الثاني من رسالته إلى المؤمنين في افسس، الأعداد ١١ إلى ٢٢ أن الأمم الغرباء عن عهد الموعد، أي غير اليهود، قد صاروا قريبين من الله بواسطة صليب المسيح. وليس هذا فحسب بل صار المؤمنون بالمسيح إن كانوا من أصل يهودي أم أممي، واحداً في المسيح يسوع. لا بل أكثر من ذلك إذ كشف الرسول بولس في بداية الأصحاح الثالث من نفس الرسالة، أن الله أعلن له السر الذي كان مخفياً منذ القديم. هذا السر هو أن الأمم صاروا شركاء في الميراث والجسد ونوال موعد الله في المسيح بالإنجيل. أي بتعبير آخر أصبحت كل مواعيد الله للشعب اليهودي القديم، ملكاً لشعب الله الجديد، المؤلف من كل المؤمنين الحقيقيين، من أي جنس أو شعب كانوا.

مستمعي العزيز، ألا تود أن تصبح من شعب الله الجديد؟ وأن تختبر خلاص الله المجيد؟ خلاص الله الذي ينقلك من الظلمة إلى النور؟ ويمتّعك في نفس الوقت بكل هبات الله ومواعيده العظمى؟ لم لا تأتي اليوم بالتوبة والإيمان إلى شخص المخلص يسوع المسيح!